تاريخ الاستلام: 2021/04/29 تاريخ القبول: 2021/06/22 تاريخ النشر: 2021/06/30

د. عبد السلام جغديـــر
جامعة 20 أوت 1955–سكيكدة (الجزائر)
Email : a.djaghdir@univ-skikda.dz

مجلة البحوث والدراسات الإنسانية المجلد 15/ العـدد 01 –السنة 2021 ص ص 369–392
EISSN : 2588-2317 ISSN : 1112-8152

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف عند دلالة الشخصية الروائية في رواية "على جبال الظهرة" للروائي الجزائري محمد ساري، والتي عالجت فترة من حياة الجزائر إبان الثورة التحريرية وبعدها، هذه الأحداث نسجتها الرواية وأدارت أحداثها شخصيات سردية كشخصية المجاهد عبد القادر الذي كان يرى حياته في استقلال الجزائر عن الاستعمار وجسدت معاناة جيل الثورة بعد الاستقلال عبّر عنها الروائي في شخصية أحمد بولمحاين الذي عاش الثورة بطلا وعاش الاستقلال مهمشا، ولذلك ماهي الحمولات الدلالية لشخصيات الرواية؟ وماهي الرسالة التي أراد الكاتب تبليغها من خلال هذه المفارقة؟ نسج الروائي أحداث الرواية وفصّل شخصياتها مجسدة الصراعات المختلفة، فكانت صورة مصغرة لما مرت به الجزائر بعد الاستقلال، ومن ذلك تسلق بعض الانتهازيين سلم المجد في مقابل همميش المجاهدين الأبطال فكانت المفارقة

الكلمات المفتاحية: *الدلالة، الشخصية، الثورة، الاستقلال، الحرية.*

Abstract

This article examines the semantic significance of characterization in Mohamed Sari's Upon the Dahra Range which portrays both the period of the Algerian revolution and the post-independence era. The plot of the novel is extended through the fictional characters such as that of Abdelkader who fights to free his country Algeria from colonial France, and Ahmed Boulemhayen who represents the suffering of the revolutionary heroes who become marginalized in post-colonial Algeria. Hence, what are the semantic roles of the characters in the novel? And what is the author's message through this paradox? The events and the characters of the novel interact with one another to illustrate the novel's different conflicts, creating a microcosm of what Algeria went through after independence when opportunistic people climbed up the ladder of glory while true mujahideen were marginalized.

Keywords: *semantic significance, characterization, revolution, independence, liberty.*

1.المقدمة:

تروي رواية "على جبال الظهرة" للكاتب الجزائري "محمد ساري" أحداثا تاريخية وقعت إبان الثورة التحريرية وبعدها في منطقة تسمى "الظهرة" قرب مدينة "تنس" ولاية "الشلف" غرب "الجزائر العاصمة"، والرواية مقسمة إلى قسمين رئيسيين: القسم الأول: عنوانه "نغم الحرية"، والقسم الثاني موسوم ب "نغم الخبز"؛ وهذان العنوانان يوحيان بتوزيع الأحداث في صلب الرواية زمانيا؛ أما القسم الأول فقد سرد أحداثا وقعت أثناء الثورة التحريرية، وأما القسم الثاني فقد عالج أحداثا وقعت بعد الاستقلال.

من هنا جاءت فكرة تتبع دلالات شخصيات هذه الرواية؛ لأننا لمسنا فيها عمقا دلاليا وإيحاءات رمزية كثيفة؛ فعبد القادر هو الشخصية الرئيسة في الرواية، وهو البطل الثوري الشجاع تقابله شخصية المستعمر الجبان، وأما شخصية أحمد بولحاين الجدلية فنلمس مقابلها في ذاته من خلال الصراع النفسي الداخلي الذي كان يعيشه أثناء الثورة وبعدها، والشخصية المجازية عاطفة الكره تقابلها عاطفة الحب في المتن الحكائي، وهي شخصيات معنوية لها حضورها السردي كما حددها فيليب هامون **Philippe Hamon**، بل إن مدار الأمر كان حول هاتين العاطفين اللتين تتحكمان في مصير الإنسان بصورة عامة، فما بالك إذا كان هذا الإنسان عاطفيا مثل الشعب الجزائري.

ولذلك وجدنا أن أبطال الرواية لها علاقات متشابكة تبلغ حدّ التصارع الذي يعتمد على المواجهة والغلبة والحيلة والمسايسة؛ لأن الفاعل البطل يكون مدفوعا برغبات نفسية مدفونة ومختبئة وراء حركاته لتحقيق غاياته، ولكن ضده يريد إعاقته

والوقوف حائلا دون تحقيق رغباته، فيحول بينه وبين موضوعه، وبالتالي يستنفر كل منهما قواه إلى أن تتم الغلبة لأحدهما.

ولرصد هذه الظواهر سنعتمد في تحليل الشخصيات التاريخية لرواية "على جبال الظهرة" على ما ذهب إليه فيليب هامون في كتابه "سيميولوجية الشخصية الروائية"، وفق المبدأ الذي لخصه عبد المالك مرتاض حين قال: "إن النظرة الجديدة إلى الشخصية أمست تنهض على التسوية المطلقة بينها وبين اللغة، والمشكلات السردية الأخرى.... وأنها أولا وقبل كل شيء لساناتية بحيث لا ينبغي أن يوجد شيء خارج ألفاظ اللغة" (مرتاض، 1998، ص 8)، وبالتالي يمكن اعتبار "الشخصية مورفيما فارغا، ولكن يتشكل أيضا ... من خلال التقابل من خلال علاقة الشخصية بشخصيات الملفوظ الأخرى" (هامون، 2013، ص 51).

وقبل تقفي نشاط الشخصيات الروائية ورصد أفعالها وردود أفعالها وهواجسها ومخاوفها وأحلامها وآمالها في الرواية علينا أولا تحديد مفهوم الشخصية من جوانبها المختلفة مع العلم أنها عصية على التحديد؛ إذ يحصي لها الباحثون أكثر من "خمسين تعريفا" (وطفة، 1998، ص 9)، ومن هذا المنطلق ارتأينا تحديد معالم الشخصية الروائية وفق ما تستدعيه هذه الدراسة كما يأتي:

2.مفهوم الشخصية في الدراسات السردية:

1.2. مفهوم الشخصية السيميائية:

اعتنى فيليب هامون بالشخصية السميائية اعتناء شديدا من خلال بحثه "من أجل قانون سيميائي للشخصية ضمن مجموعة من الباحثين الأربعة من أعلام الفكر النقدي عند الغرب [رولان بارت **Roland Barthes** ، ويليام كيز **Kaiser Wilhelm**، وايت بوت **white pott**، فيليب هامون]، فوجد الهدف من

بحثه في سيميولوجيا الشخصية سيسمح بتمييزها عن المقاربات التاريخية، والتحليل النفسي والاجتماعي أو المنطقي" (شريبط، 1995، ص 200)، وهو ما يبين أن المؤلف كان يطمح إلى تجاوز الآراء التقليدية السائدة في الخطابات النقدية التي مرت على ظهورها عقود من الزمن، وقد تداخلت أسباب كثيرة جعلت فيليب هامون يأخذ بالأفكار الجديدة عن الشخصية، وخاصة تأثره بالدراسات اللسانية الجديدة التي ظهرت بعد شيوع كتاب فاردیناند دي سوسير **Ferdinand de Saussure**"محاضرات في اللسانيات العامة" في معظم جامعات أوروبا في عشرينيات القرن الماضي، وكذلك فقد عاصر هيمنة اتجاهات أدبية وفكرية تدعو إلى تجاوز الفكر السائد آن ذاك والموروث من الفكر الكلاسيكي إلى الاهتمام بالأشكال والتمظهرات على حساب المادة، والبحث في المقابل عن بديل عصري يتماشى مع التطور الفكري واللساني، ومنها الاتجاه البنيوي، والشعري، والسيميولوجي، "فقد غيرت هذه الاتجاهات مجرى النظر إلى النص بعدّه بنية نفسية، أو حدث تاريخي، أو انعكاس واقعي، وصيرته وجودا لسانيا، ونسيجا من العلاقات والترابطات الجمالية وعالما من العلامات" (شريبط، 1995، ص 200).

ولذلك فإن رؤية هذا الاتجاه المنبثق من النظريات اللسانية الجديدة يشق طريقه في حقل المعرفة اللسانية والشكلية والدلالية أصبح التعامل مع الشخصيات باعتبارها وحدات دلالية لها مفاهيم سيميائية ضرورة منهجية ملحّة، وجب التعامل معها بعدها شكلا فارغا تتكون مقوماته من الأفعال التي يقوم بها داخل الرواية، و من صفاتها، وتكتسب دلالاتها ومرجعيتها من سياق التخاطبات التي تؤديها، ولا تكتمل كينونتها إلا باكتمال آخر كلمة في النص، وما مقابلتها لشخصيات أخرى داخل النص نفسه إلا لإبراز تمايزها من خلال الروابط التي تقوم بينها في السياقات

الاجتماعية والنفسية المختلفة، وترابطاتها وفق العادات ولتقاليد التي ميزت المجتمع الجزائري إبان الثورة التحريرية وبعدها.

انطلاقا من هنا عرّف فيليب هامون الشخصية بقوله: "إنها نسق من المعادلات المبرمجة في أفق مقروئية النص" (مرتاض، 1998، ص 89)، يتشارك فيها الكاتب والقارئ من خلال التشفير وفك التشفير، وإنتاج الدلالة وتفكيكها وإعادة تركيبها من جديد.

2.2. مفهوم الشخصية الروائية:

يعتبر النقاد الفرنسيون من أكثر من اهتم بالشخصية الروائية، ولذلك فهي عندهم "مثلها مثل الشخصية السينمائية أو المسرحية، لا تنفصل عن العالم الخيالي الذي يعتزي إليه مرتبطة بجملة من الأنظمة وبواسطتها تعيش فنيا بكل أبعادها" (شريبط، 1995، ص 200)، أما النقاد "الأمريكيين فيروا أن الشخصية الروائية منفصمة، أو يجب أن تكون كذلك عن قيم المجتمع الذي تعتزي إليه، والأشخاص الذين تزعم أنها تمثلهم بصدق، وبالأحرى إنها كائن ضائع تائه لا يمثل إلا نفس كاتبه المخادع لقرائه" (مرتاض، 1998، ص 90) ، وأما فريق ثالث فقد ادعى أن للشخصية الروائية جانب مهم يجعلها تحتل مكانة في حياتنا وذلك لأنها "بحكم قدرتها على حمل الآخرين على تعرية طرف من أنفسهم كان مجهولا إلى ذلك الحين؛ إذ إنها تكشف لكل واحد من الناس مظهرا من كينونته التي ما كانت لتكشف فيه لولا الاتصال الذي حدث عبر ذلك الوضع بعينه" (مرتاض، 1998، ص 90).

وأيا كان الأمر فإن الشخصية الروائية عالم معقد شديد التركيب متباين التنوع متقلب الأهواء، والمذاهب، ومع ذلك تبقى واسطة العقد في الخطابات الروائية؛ لأنها هي التي تصنع اللغة وتنجز الأحداث وتتفاعل معها، وتبرز عواطف وسلوكيات ذاتية،

"إنها لمهمة القارئ أن يبقى فطنا لأن الشخصية نفسها تخضع للنوع نفسه من القراءة، فيكيّفها مع أي عالم قصصي يدخله؛ لأن مهمة الكاتب هي جعل هذا التكيف جديرا بالعناية" (شولز، 1988، ص 37).

3. دلالة الشخصية الروائية في رواية على جبال الظهرة:

نقوم في هذا المبحث بتقفي شخصيات الرواية وتقصي دلالاتها، ولأجل ذلك سنقوم بتقسيمها بحسب مرجعيتها إلى قسمين: أسماء شخصيات تحمل مرجعية ثقافية وتحيل على دلالة مستوحاة من التاريخ، وأسماء شخصيات مرجعية ذات دلالة اجتماعية تحيل على إشكالية عامة في المتن الروائي.

1.3. دلالة الشخصيات ذات المرجعية الثقافية التاريخية:

1.1.3. شخصية عبد القادر:

عبد القادر هو صاحب المقام الأول في الحضور السردي بالقياس إلى الشخصيات الروائية الأخرى، وخاصة في القسم الأول الذي يتكون من عشرة فصول؛ تتوزع دلالاتها على أغلب صفحات الرواية، وهو اسم مركب من وحدتين معجميتين: عبد والقادر.

إذا نظرنا إلى كلمة "عبد" فإننا نجدها مأخوذة من العبادة، وهي من الثقافة الإسلامية الدالة على الدونية والخضوع لله عز وجل، أما القادر فهو من المصدر القدرة، وقد جاء على وزن اسم الفاعل؛ أي من يقوم بفعل القدرة وعند الجمع بينهما نجد اسما مكثفا دلاليا وثقافيا وإيديولوجيا؛ لأن "أحسن الأسماء ما عبدت"، فعبد القادر اسم عذب المسمع سهل المنطق عند جريانه على اللسان، رفيع المستوى، جار على الألسن مألوف ومقبول في الذوق الاجتماعي العربي.

أما في المتن الحكائي فإننا نجد لشخصية عبد القادر حضورا بارزا وتمثل شخصية قوية وصامدة على الرغم من الظروف التي عاشها، إذ نجده قد شارك في معارك عديدة ضد الاستعمار أثناء الثورة التحريرية، ومنها تحطيم الجسر المؤدي إلى الغابة وهو لايزال عريسا؛ "إذ لم تمر على زفافه إلا أسبوع واحد" (ساري، 1998، ص 20)، دفعه إلى ذلك إلا حب الوطن وحب الحرية الذي لم يعتقد يوما أن هناك ما يمكن أن يقف حائلا بينه وبينها ولو كان زفافه.

تتقاطع شخصية عبد القادر الروائية مع شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، وهي شخصية وطنية وتاريخية قادت ثورة عظيمة ضد الاستعمار في بدايات الاحتلال الفرنسي؛ وهو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة وواضع أسسها الحربية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية، وأسهم بفكره الصوفي في التصدي للجهل والخرافات التي كانت منتشرة في المجتمع وكذا التصدي للاحتلال الذي حاول طمس معالم الهوية الوطنية من جذورها، وهو بذلك شخصية مرجعية كما أشار إلى ذلك فيليب هامون عندما تحدث عن الشخصيات ذات المرجعية التاريخية فقال: "تحيل هذه الشخصيات كلها على معنى ممتلئ وثابت حددته ثقافة ما، كما تحيل على أدوار وبرامج استعلامات ثابتة. إن قراءتها مرتبطة بدرجة استيعاب القارئ لهذه الشخصيات داخل ملفوظ معين فإنها ستشتغل أساسا كإرساء مرجعي يحيل على النص الكبير للأيديولوجيا" (هامون، 2013، ص 24).

انتهت ثورة الأمير عبد القادر بعد وقوعه أسيرا في يد الاستعمار نُفي إلى فرنسا وتعرض إلى ألوان التعذيب المختلفة من أجل ما كان يحتفظ به من أسرار المقاومة وفرسانها الذين مهدوا لاستمرار المقاومة الشعبية فيما بعد، والأمر نفسه مع شخصية عبد القادر الروائية التي عانت ويلات السجن والتعذيب من أجل

استخلاص معلومات عن تحرك المجاهدين في جبال الظهرة ، يقول عنه الراوي: "ثم بدأ يروي مغامراته باختصار منذ أول يوم زج به في السجن والمشقة التي عاناها والعذاب الذي ذاقه بكل صمود كي لا يتكلم ولا يبوح بأي سر من الأسرار التي يكتمها في صدره" (ساري، 1998، ص 21).

كما يمكن قراءة شخصية عبد القادر الروائية صورة أعم عندما ننظر إليه باعتباره نموذجا يحتذى لكل جزائري إلى درجة يمكن عدّه هو الجزائر نفسها، وهو الشعب الجزائري المناضل من أجل الحرية والاستقلال برغم الظروف التي عاشها تحت وقع الحصار انطلاقا من أن السجن عبارة عن عالم محدود الأبعاد لا يسمح لمن يدخله بالتواصل مع العالم الخارجي وهذا حال عبد القادر في زنزانته، إنه يتطلع كل يوم لمعرفة ما يجري وراء الجدران سارحا بخياله بعيدا حيث الأمم والمجتمعات المتطلعة للحرية والانعتاق عبر العالم، "تجري الحرية في عروقهم، مع الدم منذ أن رأوا قرص الشمس يعلو بطيئا مرسلا أشعته على الراضي الشاسعة التي لا تلم بها عين إنسان" (ساري، 1998، ص 23).

وما يمكن استنتاجه أن راوي الرواية لم يكن حياديا في سرد الأحداث وتسمية شخصياته؛ إذ أننا نلاحظ أنه تفادى ذكر كنية عائلة عبد القادر إلا لماما من حين لآخر حين اضطرته الأحداث لذكر اسم والده عبدالله؛ الذي يمثل دلالة عامة في الثقافة الجزائرية وفي عرف المجتمع، فهو ما يدل على العموم، فكلنا عباد لله في الدين الإسلامي، وجاء ذكر اسم أمه وزوجته أيضا باستخدام الصفة الدالة على المطلق تعبيرا عن العائلة الجزائرية المتضامنة والمتكاتفة من أجل تحقيق أحلامها وآمالها بصورة خاصة، والمساهمة في تطوير المجتمع والدفاع عن الوطن إذا حاق به خطر بوجه أشمل، فما بالك إذا كان الوطن يرزأ تحت ظلم الاستعمار فيتحول الحلم إلى سراب من أجل

رؤية الوطن يصبو نحو تحقيق الحرية التي تمنحه جنته المفقودة عندما دنّس الاستعمار أرضه وشرّد أهله وقتل فيه كل شيء جميل، يقول الراوي: "كل هذه الطبيعة الخلابة في نظر السواح، لا تبدو كذلك في نظر عبد القادر" (ساري، 1998، ص 36)، وتزامن تفكير عبد القادر في الحرية مع الهروب من السجن بعدما اجتمع مع ثلاثة سجناء وهم: عبد القادر، وبوعمامة والبشير، بالتهمة نفسها، وهي شخصيات لها حضورها في الوعي الجمعي للجزائريين؛ وهي أسماء ذات شحنات إيجابية ومحملة بدلالات عميقة في الوجدان الوطني، فلو اجتمعت ثورة الأمير عبد القادر وثورة الشيخ بوعمامة مع جهود جمعية العلماء المسلمين التربوية والعلمية التي يمثلها الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي يمكن أن تحيل عليه الشخصية الروائية لكان يمكن أن تكون الثورة قد وصلت إلى مبتغاها باكرا، وهي دعوة – مغلفة جماليا ومشحونة عاطفيا ومركزة دلاليا — إلى التكاتف والوحدة والتصالح بين الأجيال والمذاهب والتوجهات، وبخاصة إذا كان الهدف واحدا والغاية مشتركة وما توزعهم في المتن الروائي على رأس ثلاث مجموعات من أجل تنفيذ عملية الهروب من السجن إلا دليل على قدرة كل واحد منهم على الكفاءة القيادية وحسن التدبير في المواقف التي تحتاج إلى ذلك.

اختار الراوي الساعة الواحدة صباحا وقتا للهروب من السجن، وهو زمنٌ لبداية يوم جديد، إذ سرعان ما تنقشع غيوم الظلم والاستبداد ويعمّ في المقابل ضوء فجر جديد بعد كسر حصار السجن والالتحاق بالجبال من جديد، وانضمامهم إلى إخوانهم المجاهدين يقول الراوي: "يستنشقون نسيم الصباح الذي يلسع الوجوه ويخفف قليلا من حرارة القلق والخوف التي حصصت الوجوه في الساعات الأخيرة من الليل" (ساري، 1998، ص 98).

إن أمانة عبد القادر وثبات شخصيته مبدأ وموقف ورأي لم يتغير كذلك بعد الاستقلال لمّا أصبح مسؤول القسمة في بلدته لحزب جبهة التحرير الوطني حيث ساعد كثيرا ممن أنكر عليهم المجتمع أبسط حقوقهم، وقد جاء ذكر ذلك على لسان أحمد بولحاين في الجزء الثاني من الرواية، حيث أعاد له عبد القادر شرفه المسلوب بفعل فاعل عندما استخرج له شهادة تثبت مشاركته في الثورة، "لولا الرجال الذين مازالوا على الأصول لانتهت الجزائر" (ساري، 1998، ص 110). وهي حقيقة روائية وواقعية في الوقت نفسه أراد الروائي أن يلفت انتباه الأجيال صون كرامة من ضحى بنفسه في سبيل أن يحيا حرا.

وإذا أردنا النظر إلى شخصية البطل عبد القادر سيميائيا فإننا سنجده يرمز للشعب الجزائري المجاهد في عمومه، الذي يمتلك توقا ونزوعا نحو تحقيق الموضوع الذي سعى خلفه وهو الاستقلال والتحرر من المستعمر، وسيلته في ذلك الجهاد والتضحية بالنفس والمال كل شيء غال على الفرد فهو هيّن في سبيل الوطن.

الذات ⟵ الموضوع

عبد القادر الاستقلال

لن يتحقق الموضوع (الاستقلال) إلا بفضل التضحيات العظيمة لشعب ينظر للأمام بعين التفاؤل والإقدام مع صعوبة التوجه الفعلي نحو المستقبل بفعل الموانع الفرنسية التي تمنع البطل/الأبطال من تحقيقها، ولكن تدخل مجموعة من العناصر السردية تساعد عبد القادر لتحقيق ما يحارب لأجله كالتضامن العائلي (الوطني)، والجبال بعدّها حصونا منيعة يأوي إليها المجاهدون بعد كل عملية فدائية أو بعد كل معركة ضد الفرنسيين الذين يستعينون بكل أنواع الأسلحة الثقيلة في سبيل تحطيم إرادة عبد القادر ورفاقه، إضافة إلى الترهيب والتعذيب الذي يتعرض إليه الأهالي من

أجل عزل الثوار، فيكون ذلك بمثابة المعيق الحقيقي الذي يمنع البطل/الأبطال من تحقيق رغبته/رغباتهم وهي الحرية والاستقلال.

كانت العلاقة بين الذات/البطل والموضوع/الحرية علاقة اتصال بعدما كانت علاقة انفصال بسبب معارضات كثيرة تعيق البطل من أجل الوصول إلى تحقيق الموضوع/الاستقلال، ولكنها انتهت في الأخير إلى تحقيقه ورؤية شمس الحرية تلفح جباه الفلاحين وهم يخدمون أراضيهم.

2.1.3. شخصية لالا فطومة وكيلة الولي:

لالا فطومة من الشخصيات الروائية الدينية في الرواية، والعنصر النسوي الوحيد المهم في متنها، على الرغم من ظهورها القليل مثل بقية الشخصيات الأخرى إلا أنها عبرت عن جانب مهم في شخصية الجزائري العقدية إبان الاحتلال، ومع ذلك أراد أن الراوي أن يبرز دور الزوايا في خدمة الثورة التحريرية، ووجود المرأة في جبال الظهرة رفقة المجاهدين لم يكن اعتباطيا ولكن لإبراز دورها في مساعدة إخوانها الرجال من أجل تحقيق الغاية نفسها، على الرغم من نظرة الرجل المتخلفة للمرأة بأنها كائن شيطاني لا يصلح لأعمال الرجال، إلا أن ذلك لم يمنعها من تقديم التضحيات الجسام، يقول واسيني الاعرج في هذا المقام: "الشيء المخفي وراء التأويل الرمزي أراه شخصيا دينيا بحيث أن وجود المرأة ككيان بشري وإنساني يحرج الذكور ويحرج المنطق الديني الذي لا يقبل بوجودها كمجال للتحرر والحب والإنسانية والانعتاق، ولهذا يهرب إلى الرمزية...وفي هذا الإطار بدل مواجهة الفكر الديني المضلل والمتخلف يتم إخلاء الساحة النضالية والمقاومة لحساب هذه العقلية من خلال عملية الترميز التي تشكل متكأ للهرب من مواجهة الحقيقة " (بوعجيلة، 1993، ص 69).

كانت الصورة التي ظهرت عليها الوكيلة لالا فطومة ممزوجة بالخرافات والأساطير، ولهذا يمكن القول أنها شخصية متخيلة في المتن الحكائي، ويمكن أن تكون شخصية واقعية لها حضورها الفعلي خاصة بعد انتشار الزوايا والأولياء الصالحين، يقول الراوي: "كلما استيقظ أحدهم في الصباح إلا وسأل عن حياة لالا فطومة هل ماتت؟ هل انسخطت؟ هل تحولت إلى ملك؟ أو جنية" (ساري، 1998، ص 141)، فكل هذه الأسئلة التي يطرحها الناس كل يوم سببها عجز المجتمعات الريفية البسيطة عن تجاوز التفسيرات الغيبية الساذجة الموروثة من الثقافة الشعبية الجاهلة، وهو مستوى من الجهل والأمية وصل إليه المجتمع الجزائري في فترة من فترات تاريخه تحت ظلم الاستعمار الذي حاول طمس الهوية الوطنية بكل مكوناتها، ومع ذلك يمكن أن نساير مجتمع الدشرة الذي كانت تعيش فيه الوكيلة لنطرح التساؤل الآتي: هل يتحول الإنسان فعلا إلى كائن آخر تنسج حوله الروايات في ليالي السمر المظلمة؟

إن الطابع الصوفي الذي نشأت عليه لالا فطومة لم يكن عن قناعة تامة؛ فهي قد لجأت إلى هذه المنطقة قرب الولي الصالح أمحمد واعلي بعد شقائها الدنيوي الذي أحسته بعد عجزها عن إنجاب الأولاد؛ لأنها كانت عاقرا على جميع المستويات؛ فكريا وماديا وروحيا بسبب عجزها على الرغم من زيارتها لكل الأولياء الصالحين الذين تعرفهم "فهي عاقر، لم تلد، زارت الأولياء الصالحين ما سمحت لها ظروفها الشاقة أن تزور، واستشارت كل الدراويش الذين تعرفهم أو سمعت عن وجودهم" (ساري، 1998، ص 13). وبعد كل محاولاتها تغيرت حياتها واتخذت حياة الزهاد والمتصوفة ذريعة وغطاء تحتمي خلفها إلى درجة أن السكان لا يعرفون نسبها أو المكان الذي جاءت منه، وهو ما دفع الأهالي إلى الاعتقاد بأنها زوجة الولي الصالح المزار.

يقول حسن بحراوي عن نموذج المرأة في الرواية: "بعد كل الذي علمتنا إياه علوم التشريح والجمال والتحليل النفسي فإننا سنتجه مباشرة إلى النظر في المظاهر التي تتخذها المرأة من خلال المتن الروائي المفروض للدرس" (بحراوي، 1990، ص 275) وفق هذه النظرة يمكن أن ترمز شخصية لالا فطومة إلى المستوى الفكري العام للمجتمع الجزائري، كما تحيل إلى البنية العقلية للشعب الجزائري عن الدين قبل الثورة خصوصا، والتي لا تختلف من حيث الجوهر عن العصر الجاهلي على الرغم من مرور أربعة عشر قرنا على مجيء الإسلام مستندة في ذلك إلى عالمها الأسطوري الخرافي المليء بالعجائبية الخارقة طورا، والجهل بالدين طورا آخر، وهو ما يدل على التجهيل الذي مارسه الاستعمار على المجتمع الجزائري مدة أكثر من قرن من الزمن، وإلا كيف لمجتمع يحارب من أجل الدين والوطن أن يؤمن بمثل هذه الخرافات وهو يحارب النصرانية واليهودية التي حاول المستعمر نشرها في المجتمع.

وتظهر التناقضات الاجتماعية في ممارسة الطقوس الدينية عند زيارة ضريح الولي، فهي محرمة في ديننا الإسلامي ومنكرة في الأعراف الإنسانية السليمة؛ لأنها شرك بالله تعالى وما التميمة المكتوب فيها بعض آيات القرآن الكريم المعلقة في جيدها منذ أمد بعيد لدليل قطعي على الشرك الأصغر ولو كتبت من أحرف القرآن، "كتبَت حرزا عند طالب القرآن شربتْه مع زيت الزيتون والزعتر كما أُشير عليها وعلقت القطعة الثانية في عنقها لمدة طويلة" (ساري، 1998، ص 15). أما من الناحية الفكرية فإن هذه المرأة قد هجرت الناس إلى ذلك المكان المنعزل بجوار وليّ صالح لتعويض نقص ما أو تعبير عن كبت نفسي، فاتخذت من خدمة الولي والاعتناء بقبره تقربا إلى الله تعالى، كأنها اهتدت إلى طريق الله عن طريق خدمة الأولياء الذين يعتقد الناس أنهم صالحون، فجعلت من ضعفها قوة ومن وضاعتها رفعة لما أضحى الناس يزورونها قبل

زيارة ضريح الولي لتعليمهم كيفية أداء العبادة، وتقديم قطع الحرير قرابينا ليُتقبّل منهم؛ "يا سيدي أمحمد وعلي تقبل زيارتنا ودعوتنا واستجب لنا فنحن عبادك لن ننساك حتى الموت" (ساري، 1998، ص 105)، وهو مشهد يبرز أوجه الخلل النفسي والروحي لهذه المرأة؛ فمن جهة يرجون منه الاستجابة كأنه يملك مفاتيح الغيب والعياد بالله، ومن جهة أخرى هم الضعاف الذين لن ينسوه ما عاشوا، وهو إبراز للمستوى الفكري الساذج والوعي الديني البسيط للمجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية المظلمة.

2.3. دلالة الشخصيات ذات المرجعية الاجتماعية:

1.2.3. شخصية أحمد بولمحاين:

اسم أحمد بولمحاين في الرواية دال مركب من شقين: الأول اسم علم أحمد، والثاني صفة بولمحاين لحقت به قبل الحرب العالمية الثانية، وهو اسم من الطبقة الشعبية يكاد يعم مدلوله معظم الشعب الجزائري قبل الاستقلال وبعده؛ خرج بولمحاين من الثورة معدما على جميع الأصعدة، وقد اكتسب هذه الصفة لفلسفته العميقة في الحياة بعد معاصرته ثلاث مراحل مختلفة من تاريخ الجزائر؛ هي مرحلة قبل الثورة التحريرية، ومرحلة الثورة، ورحلة الاستقلال، أضف إلى ذلك الشقاء الذي لازمه منذ انضمامه إلى الجيش الفرنسي في حملات التجنيد الإجبارية بعد الحرب العالمية الثانية، ثم ذهابه إلى فرنسا ثم إلى الفيتنام، "لقّب ببولمحاين قبل اندلاع حرب الألمان واحتفظ به إلى اليوم" (ساري، 1998، ص 105)، وهو شيخ هرم عانى قساوة العيش، وعادة ما "تستمد شخصية الشيخ جاذبيتها على ما يبدو في المتن الروائي من السلطة الدينية أو الأخلاقية التي تتوفر عليها، وذلك في الغالب بفضل سنها المتقدم وسلوكها المشهود له بالاستقامة" (بحراوي، 1990، ص 270)، غير أن ذلك لم ينطبق على بولمحاين الذي

كان أمره مخيبا لأفق انتظار المتلقي؛ لأنه ظهر في الرواية باعتباره شخصية محورية ثانية بعد عبد القادر، وخاصة في القسم الثاني، والدليل على ذلك بؤسه وشقاؤه وحرمانه وسذاجته البادية عليه من شكله الخارجي، "كان العجوز أحمد كبيرا، طاعنا في السن، مقوّس الظهر قليلا، يعتز بشاربه الطويل الأشيب" (ساري، 1998، ص 105)، و"فوق رأسه انحطت بانتظام شاشية بيضاء جلبها له أحد معارفه من الحج، ملفوفة بعمامة بيضاء عريضة ... يضع فوق العمامة مظلة صغيرة من الدوم المزخرف بالأحمر والأسود والأبيض...يرتدي ملابس قديمة" (ساري، 1998، ص 105)، يبين هذا الوصف تمسك الجزائري بعاداته وتقاليده التي تبدو في كيفية إظهار شكله الخارجي الذي زاد تمسكه بها بعد الاستقلال ليثبت أنه حارب وطرد المستعمر ليحافظ على كينونته بكل عناصرها الظاهرة منها كاللباس والباطنة كالمعتقد والعادات والتقاليد.

كما تمثل شخصية أحمد بولحاين الجيل الثائر على الأوضاع الاجتماعية العامة والرافض لها بسبب ما آلت إليها حال البلاد بعد الاستقلال، وخاصة بعد وصول الانتهازيين إلى السلطة وهو ما حمله على إنكاره والنقمة عليه وعلى الجيل الجديد الذي تمكن من السلطة بطرق ملتوية، حتى أصبح يقتات مما يتركه هؤلاء الانتهازيين، "لكن الأطفال سيقتاتون كل حبة تنضج، ولا يتركون للكبار إلا الورق الملطخ بالحليب..." (ساري، 1998، ص 106) ، وهي صورة سوداء سادت بعد انقلاب المعايير وتقلد من لا يستحق المسؤولية حتى أصبحوا يمنّون على المجاهدين الذين ضحوا بالنفس والنفيس من أجل الاستقلال والتحرر وعندما حصلوا عليه بالدم والنار وجدوا أنفسهم مهمشين يقتات الكثير منهم من بقايا ما يخلفه الصبيان، ولذلك فشخصية أحمد بولحاين هي شخصية كل جزائري وطني غيور على وطنه ضحى من أجل شعبه وأهله وكرامته، وهو كذلك مثال للبطولة والتحدي الممزوج

بالكره الشديد لفرنسا وسياساتها الاستعمارية ولكل ما يمثلها، ولذلك ألفيناه يساعد الفيثناميين بالسلاح والمؤونة لما جندته فرنسا عنوة تحت رايتها في الحرب العالمية الثانية، ويثبت في المقابل نزوعه نحو الانعتاق والحرية له ولأهله ولوطنه ولكل مضطهد في كل مكان.

مقابل هذه الدلالات يعدّ بولحاين أيضا شاهدا حيا على ما آلت إليه الأوضاع من فساد وفقر وظلم في جزائر بُعَيْد الاستقلال، حتى وصل الأمر إلى أن مسؤول القسمة في البلدية لم يكن مجاهدا ورفض أن يمنح بولحاين شهادة تثبت ذلك، يقول: "أرادوا أن يجردوني حتى من الورق التي تشهد بأنني كنت مجاهدا" (ساري، 1998، ص 110)، ثم يستطرد نازفا دما بدل الدموع: "يعرفني ابن الكلب ...وهل كان مجاهدا حتى يعرفني" (ساري، 1998، ص 110). وهي حالة نفسية قاهرة جعلت بولحاين يخرج عن صمته ويعبر عن حال البلد التي جاهد في سبيلها ثم تنكّرت له من خلال هؤلاء المتسلقين.

ما نلاحظه في القسم الثاني من الرواية – الذي يروي أحداثا بعد الاستقلال وكان بطله أحمد بولحاين –، هو توجه الجزائر الاشتراكي سياسيا والارتماء في أحضان الاتحاد السوفياتي وتبني سياسته الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وحتى الثقافية، وجسّد ذلك بولحاين حين يتوجه كل صباح في فصل الصيف إلى الحقول والمزارع لمشاركة الفلاحين عملية الحصاد والدرس، "سلّ أحمد بولحاين منجله من حزامه وعكف على الحصاد مع بقية الرجال" (ساري، 1998، ص 110)، وما نجده في هذه الشخصية في تلك الفترة هو شرودها وانغماسها في تفكير عميق يلازمه صمت مطبق، يجعله يغوص في استرجاعاته التي يرى من خلالها بطولاته الجميلة في وقتها والزائفة في آنها مادام أنه لم يستمتع بما كان يحارب من أجله ومقارنة تلك الأحلام

بالفساد السياسي والاجتماعي والأخلاقي الذي آلت إليه الحال "سبعة وعشرون مليونا لإصلاح الطريق وإيصاله إلى الدشرة!!! ماذا عملوا بها؟ قليل من الرمل والحصى والأحجار" (ساري، 1998، ص 124) ، دلالة واضحة على الانغماس في الفساد الإداري وانتشار السرقة والآفات والبيروقراطية في المجتمع.

ظهرت شخصية بولحاين في معظم أحداث الجزء الثاني من الرواية، ولكنه ظهور صامت في أغلب الأحيان، يكلم نفسه في شكل مونولوج داخلي يحدّث فيه نفسه عن الأوضاع المزرية التي آلت إليها الأمور، وبدا في ذلك مستسلما للأمر الواقع يائسا من اصطلاحه وتحسن مآله،" ليس في وسعنا أن نفعل شيئا يغير من وضعيتنا" (ساري، 1998، ص 136)، ويزيد انطواءه وتكتّمه كلما اصطدم بواقع مرّ حدث له أو سمع عنه فنجده يحدّث نفسه مبررا عجزه "صحيح...إنني كبرت ولم أعد قادرا على العمل!... بدأت الصلاة في الثلاثين، صمت رمضان كله.. لم أزك لافتقاري للمال، لكنني ساعدت أناسا كثيرين في أوقات الشدة..." (ساري، 1998، ص 107)، وهي مبررات دينية يستعطف بها الله تعالى ويستجديه وأنه أدى فرائضه على أكمل وجه وجاهد في سبيل الله، وساعد أناسا كثيرين، ولذلك فجزاؤه الجنة التي أرادها أن تكون في الدنيا بعد تحقيق الاستقلال، ولمّا لم تتحقق دعا الله بأسلوب استعطاف بأنه مؤمن أدى واجباته اتجاه ربه كاملة راجيا أن يجازيه جنة عرضها السموات والأرض بعدما كان جزاؤه النار في الدنيا على الرغم من جهاده في سبيل الوطن.

ما يمكن استنتاجه أن تطور شخصية بولحاين الروائية كان من الأحسن نحو الأسوأ نزولا، حيث إنه كان فاعلا زمن الثورة التحريرية، وهو يحارب المستعمر، هرب من السجن والتحق بصفوف جبهة التحرير الوطني وجاهد إلى آخر دقيقة، لمعرفته بالعدو الذي اتحد في سبيل دحره وقهره كل أطياف المجتمع، ولما تحقق النصر تحوّلت

الأوضاع وانقلبت، وتغيّر العدو الظاهر إلى أعداء متخفين، يشعلون صراعات داخلية مفتعلة كانت سببا في فشل الإصلاح الذي كان ينشده المجتمع، وخاصة الثورة الزراعية، ولذلك كان نغم الخبز –الذي عنون به الكاتب جزء الرواية الثاني– نغما للحزن، والسعي وراء آمال كانت تبدو سهلة التحقيق لكنها تحولت إلى كوابيس يلفّها الضباب، "أما شباب اليوم فانصرف إلى حياة تختلف عن حياتنا إلى مشاكله وثورته الخاصة ولم يعر اهتماما إلى حربنا نحن التي بفضلها يستطيع أن يرفع رأسه عاليا" (ساري، 1998، ص 150).

مثلت شخصية أحمد بولحاين شخصية الجزائري الثوري البسيط والمتمسك بعاداته وتقاليده وأصالته بكل ما تحمله من مدلولات القوة والإقدام والشجاعة التي ميزت أبطال الثورة التحريرية الكبرى، وهو ما جعله يواجه الصعوبات بصدر عار، وأما في الحاضر فهو شخص غامض غموض التوجه السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي اختارته سلطة الاستقلال خاصة بعد انتشار ممارسات غريبة عما كان يحارب من أجله في الثورة، مثل المحسوبية وإسناد المسؤولية إلى غير أهلها، ولذلك نجد هذا البطل كثيرا ما يغوص في ذاته باحثا عن الماضي المفقود لمّا لم يستطع تغيير الواقع المظلم، ولذلك حدّث نفسه بما يرجوه في الواقع دون القدرة على الإفصاح به، ولذلك كثيرا ما نجده يقول: "أيام فرنسا كانت الطريق أحسن من اليوم" (ساري، 1998، ص 124)، ثم يستطرد مستنكرا الوضع الذي آلت إليه الأوضاع: "الأموال التي تبعثر في حفر الطرق لا يمكن مراقبتها، لذلك تجد البلديات تهتم كثيرا بحفر الطرق وترميمها... تنفق القليل وتسرق الكثير" (ساري، 1998، ص 125).

2.2.3. شخصية المستعمر:

الاستعمار الفرنسي هو مربط الفرس في احتلال الجزائر وفي الثقافة الروائية الجزائرية التي خلدت الثورة التحريرية على حد سواء، وهو العنصر الأساس الثاني في الأعمال الروائية التي تعالج جانبا من ثورتنا التحريرية، ولذلك لم يشذّ الروائي محمد ساري عن هذه القاعدة عندما جعل شخصية المستعمر هي طرف المعادلة الثاني مادام أن طرفها الأول هم المجاهدون الأبطال، وقد جسّدت ذلك الرواية من منطلق أن شخصية المستعمر تملك مطلق الحرية ولكن تحكمها سلطة الرتب العسكرية والمدنية، مع أنها ألقاب مبنية على الخوف تارة، وعلى الرهبة تارة أخرى، أضف إليها افتقارها للاحترام المطلوب، ولذلك كانت شخصية المستعمر ضرورية في سرد الأحداث الروائية وارتباطها عناصرها؛ لأنها مثبتة تاريخيا وكانت السبب المباشر والرئيسي فيما حدث للشعب الجزائري أثناء الثورة وبعدها في الواقع، وهي كذلك في أحداث الرواية لما ارتبطت بالسجن والهروب والثورة والصراع، وبفضلها ظهرت الشخصيات المضادة في مظهر البطولة والفداء والذكاء والتحمل والشجاعة....

يبدو من الوهلة الأولى أن ذلك الصراع قد كان موجها داخل مفاصل الرواية لاعتبارات أيديولوجية في المقام الأول، ثم لأسباب تاريخية ثانيا، فجعلت المستعمر رغم ما يبدو عليه من مظاهر القوة والعنف يحاول الظهور في ثوب القوة التي تحفظ الأمن والاستقرار ومع ذلك ظهرت شخصيته في المتن الحكائي أقل درجة من الشخصيات الروائية الوطنية لأنهم أصحاب الأرض المسلوبة مع أن قوتهم بسيطة بالمقارنة مع ما يملكه العدو؛ والواقع الذي آل إليه الجيش الفرنسي في الجزائر لا يعدو أن يكون مجموعة من المرتزقة تقتّل شعبا أعزلا ومع ذلك كانت تأتيهم ضربات المجاهدين من كل الجهات حتى أنهكت كواهلهم، يقول الراوي: "في نهاية الصيف

الماضي وقع اشتباك بين المجاهدين والجيش الاستعماري في ليلة دامسة، كمين نصبه المجاهدون وكبدوه بخسائر لا تمحى بسهولة" (ساري، 1998، ص 9)، وما يعضد هذه الفكرة هو ما قاله أحد الجنود الفرنسيين للتعبير عن دكاء الشخصية الوطنية حين قال: "هكذا بكل بساطة استطاع هذا العجوز الأمي الحقير أن يلعب بكم، وما زلتم تقولون بأن جيشكم خليفة جيش نابليون" (ساري، 1998، ص 65)، وأثبت في المقابل صورة مهزوزة لشخصية ضعيفة وبائسة رغم قوتها العسكرية، في مقابل شخصية وطنية ذكية وشجاعة ومقدامة لا تخاف الموت رغم افتقارها لعناصر القوة ذاتها.

أحدث هروب الشباب من سجن الاحتلال حالة ذعر وارتباك كبيرين في صفوف العدو، وجعلته في حالة فزع واستنفار؛ لأن هروبهم يدل على امتلاكهم الحرية بالإكراه والتحدي المشبع بالإيمان بالقضية التي تعني أيضا زوال الظلم والاستعمار، "الحرية تؤخذ بالعنف والقوة والاتحاد" (ساري، 1998، ص 52).

3.3. دلالة الشخصيات ذات الوظيفة المجازية:

تقوم الشخصية عادة بمجموع الأفعال وردود الأفعال المسندة لها في العمل الروائي وتأتي نتيجة لسيرورة الأحوال والصفات، كالتعبير عن الرغبة أو التظاهر أو الأحاسيس... ولذلك قد تتجسد هذه الدلالات في شكل عواطف وانفعالات يكون لها دور بارز في السرد ولذلك اعتبر فيليب هامون الشخصيات المجازية ذات قيمة فنية ودلالية في العمل السردي، ولها دور دلالي مثلها مثل الشخصيات الأخرى، ومن هذه الشخصيات في رواية "على جبال الظهرة" نجد شخصية الحب وشخصية الكراهية المجازيتين.

1.3.3. الشخصية المجازية: الكراهية:

تتجسد عاطفة الكراهية بعدّها شخصية ذات حضور سردي بارز في الرواية عبر مجموع الأفعال التي تقوم بها شخصية عبد القادر وعائلته عند زيارتها له في السجن، وتبادل عاطفة الكره فيما بين أفرادها اتجاه العسس الذين يقفون حائلا دون معانقة سجينهم، فراحوا يتبادلون النظرات بينهم، دون الإفصاح عما يشعرون به اتجاههم خوفا من ضياع رؤية عبد القادر، "أحس الجد بغليان من الاشمئزاز والاستياء يفور بداخله. سكت..." (ساري، 1998، ص 19)، وفي المقابل يستطيع الحراس الجهر بكرههم لكل ما هو جزائري في صورة بغيضة مليئة بالحقد والضغينة لوالد عبد القادر حين يصرخ في وجهه أحد الحراس بلهجة فرنسية قبيحة: "ماذا تريد أيها الراعي؟ ارفع صوتك، هل فقدت لسانك؟ لم نسمع شيئا، وغرق الاثنان في ضحك منقطع مترنحين كالثملين" (ساري، 1998، ص 19)، واما في القسم الثاني فتظهر الكراهية أيضا من خلال شخصية أحمد بولحاين الذي ما فتئ يعبر عن استنكاره لما آلت إليه الأمور من انتشار الفساد في مجتمع حارب من أجل صلاحه ونهضته، وهو ما جعله دائم الاستغراق في استرجاعاته التي وجد فيها ملاذا من واقعه المزيف، بعدما تحول إلى مسلوب الإرادة بعد الاستقلال لا يقوى على تغيير منكر رآه أو سمع به بعدما كان فاعلا قبل الاستقلال حين توجت فاعليته بالحرية، "غريب هذا الرجل اشترى سيارة بمليونين ونصف وهو يسكن في قربي في أعلى الجبال" (ساري، 1998، ص 69).

2.3.3. الشخصية المجازية الحب:

تتجلى صفة الحب ودلالاتها في شخصية عبد القادر وأصحابه من خلال تمسكهم بالأرض التي حاربوا من أجلها، وتبرز أكثر من مجموع العلاقات التي

ينسجها السجناء فيما بينهم داخل المحتشد وتفكيرهم المشترك من أجل الهرب والالتحاق بالجبال دون أن يتركوا سجينا واحدا، وهو ما يظهر روح التضامن والإخاء والاتحاد الذي ميّز الثوار من أجل فك الحصار عن الثورة وعن الجزائر عامة، وعندما يتعرض أحد أبطالها للتعذيب كما حصل لسي جلول البائع الجوال الذي ألقي عليه القبض خاصة عندما كان يخبئ السلاح في عربته التي يتخذها غطاء لذلك في تجارته، وهو ما جعل الثوار يعبرون عن تعاطفهم معه حين قتل العدو عائلته بسبب عدم دفع الضرائب المفروضة ظلما وعدوانا على الأهالي، بسبب امتلاكه بقرة، وتعرضه هو أيضا لكل ألوان التعذيب بسبب ذلك، فتألم السجناء لألمه ورثوا لحاله في الوقت الذي أمدّهم بالقوة والصمود لتغيير هذا الواقع القاسي أيضا، والأمر نفسه حين حاول أحد الشباب الهرب فتلقّفته رصاصة قاتلة فاغرورقت أعينهم وانهمرت دموعهم حزنا عليه وعلى فراقه وقتله بتلك الوحشية وبرودة دم أيضا، "تلألأت عيناه بالدموع لكنه سرعان ما قاوم الرغبة في البكاء" (ساري، 1998، ص 74). حتى لا يظهر بمظهر العاجز والمنكسر أمام العدو.

أما بعد الاستقلال فقد تجسدت عاطفة الحب في روح التضامن بين الفلاحين وحبهم لأرضهم من خلال خدمتها والاعتناء بزراعتها، وتمسكهم بها رغم زحف مظاهر التمدن عليها، ولكن سكان الجبال المتأصلين حافظوا على نمط حياتهم يستمتعون به، تفرحهم غلالهم رغم قساوة العيش، "يكفي الكلام الجميل والمشجع لخلق هذه الوحدة المتماسكة بين أهل الريف المهم أن يشعر الرجل بأنه محاط بأصدقاء يحملون معه عبء المشقة والفقر المدقع" (ساري، 1998، ص 131)، وهو ما عبرت عنه مواويلهم وأناشيدهم التي كانوا يرددونها لتحدي التعب والحرارة، فالثورة الزراعية منحتهم أملا من أجل التشبث بهذه الأرض التي كانت تعطي غلتها لغير

أهلها، حين عبّر أحدهم قائلا: "نحن فقراء يا عمي أحمد ..كيف لا نحب الثورة الزراعية، نحبها بل نعبدها مثل عبادتنا لله" (ساري، 1998، ص 134)، ووجب أن نتمسك بها مثل تمسكنا بتوحيد الله وبعبادته.

4. **خاتمة:**

حملت شخصيات رواية "على جبال الظهرة"–للروائي الجزائري المعاصر محمد ساري– دلالات مكثفة، وشحنات نفسية عميقة للدلالة على معاناة الشعب الجزائري إبان الثورة التحريرية الكبرى، حين خلدت بطولاتهم الجهادية في سبيل تحرير الوطن، فتكاتفت في سبيل تحقيق ذلك شخصيات الرواية باختلافاتها الاجتماعية والدينية والثقافية؛ فجسد البطل عبد القادر شخصية الإنسان الجزائري البسيط الذي دافع عن وطنه وعرضه وحريته بكل ما يملك من طاقات وبذل في سبيلها النفس والنفيس، وضحى في سبيل تحقيق غايته بدمه وماله وأهله، و مثل أحمد بولحاين شخصية الشيخ الذي ذاق كل أنواع العذاب والإهانة رغم ما لاقاه من تهميش بعد الاستقلال إلا أنه عاش صابرا كاتما غيضه ظاهره مستمتع باستقلال بلاده، وباطنه كله نقمة على حال البلاد بعدما وصلت إليه من فساد عمّ كل مفاصل الحياة، وهو شخصية تمثل حال بعض المجاهدين الذين وجدوا أنفسهم مهمشين بعد الاستقلال حتى ضاعت أبسط حقوقهم المادية والمعنوية ولم يجدوا من يرجع إليهم الاعتبار، كما حملت الشخصيات المعنوية مثل الحب دلالات الحرية والانعتاق والإقبال على الحياة، وفي المقابل شحنت عاطفة الكره عواطف كل من ذاق الويل والعذاب الفرنسي الذي كان وحشا حطم آمال المجتمع في الرقي والازدهار.

5. المصادر والمراجع:

1. بحراوي حسن. (1990). *بنية الشكل الروائي* (الإصدار ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
2. بوعجيلة كمال. (1993). حوار مع الأديب الجزائري واسيني الأعرج. *مجلة مسار*(17).
3. ساري محمد. (1998). *على جبال الظهرة* (الإصدار ط1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
4. شريبط أحمد شريبط. (1995). سيميائية الشخصية الروائية. *ملتقى السيميائية والنص الأدبي*. عنابة: جامعة عنابة.
5. شولز روبير. (1988). *عناصر القصة* (الإصدار ط1). (محمد منقد الهاشمي، المترجمون) دمشق، سوريا: دار طلاس.
6. مرتاض عبد الملك. (1998). *في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
7. هامونف يليب. (2013). *سيميولوجية الشخصيات الروائية* (الإصدار ط1). اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.
8. وطفة علي أسعد. (1998). تأملات ثقافية في مفهوم الشخصية. *مجلة الموقف الأدبي*(329).